

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(المُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةُ)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ]

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ

www.menhag-un.com

المُضَافَاتُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

المُضَافَاتُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى نَوْعَيْنِ:

* مُضَافٌ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ: وَهُوَ مَا لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ، يَعْنِي -مَثَلًا- إِذَا قُلْتَ: سَمِعُ اللَّهَ، بَصَرُ اللَّهَ، كَلَامُ اللَّهِ، فَالسَّمْعُ لَا يَقُومُ بِذَاتِهِ، وَالْبَصَرُ لَا يَقُومُ بِذَاتِهِ، وَالْكَلامُ لَا يَقُومُ بِذَاتِهِ.

فَإِذَنْ هَذِهِ الإِضَافَةُ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ، فَإِذَا قُلْتَ: سَمِعُ اللَّهَ، وَبَصَرُ اللَّهَ، وَقُدْرَةُ اللَّهَ، وَكَلَامُ اللَّهِ، وَعِلْمُ اللَّهِ، فَهَذَا مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ.

وَضَابِطُهُ: مَا إِذَا كَانَ الْكَلَامُ وَصْفًا لَا يَقُومُ إِلَّا بِمَوْصُوفٍ لَا يَقُومُ وَحْدَهُ.

* وَمُضَافٌ إِلَى اللَّهِ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمَخْلُوقِ إِلَى الْخَالِقِ: كَمَا تَقُولُ: عَبْدُ اللَّهِ، نَاقَةُ اللَّهِ، فَالنَّاقَةُ تَقُومُ بِنَفْسِهَا، وَعَبْدُ اللَّهِ يَقُومُ بِنَفْسِهِ.

إِذَنْ هَذِهِ الإِضَافَةُ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمَخْلُوقِ إِلَى الْخَالِقِ؛ وَقَدْ تَكُونُ مِنْ أَجْلِ التَّشْرِيفِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: «بَيْتُ اللَّهِ»، فَهَذَا مِنْ بَابِ التَّشْرِيفِ.

ضَابِطُهُ: مَا إِذَا كَانَ الْمُضَافُ عَيْنًا قَائِمًا بِنَفْسِهِ.

فَإِذَا أُضِيفَ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا كَانَ عَيْنًا قَائِمًا بِنَفْسِهِ فَهَذِهِ إِضَافَةُ الْمَخْلُوقِ إِلَى الْخَالِقِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْمُضَافُ وَصْفًا لَا يَقُومُ إِلَّا بِمَوْصُوفٍ، فَهَذَا مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ، وَهَكَذَا الشَّانُ فِيمَا يُقَالُ فِيهِ: «مِنَ اللَّهِ» قَدْ يَكُونُ مِنْهُ وَصْفًا، وَقَدْ يَكُونُ مِنْهُ خَلْقًا.

﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:

.[١٣]

القول: وَصَفٌ لِلرَّبِّ وَنَعْتُ مِنْ نَعُوْتِهِ.

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [البقرة: ١٣].

مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا: هُوَ مِنَ اللَّهِ خَلْقًا وَإِيجَادًا.

فِي هَذَا الْبَابِ ضَلَّ طَائِفَتَانِ:

الْمُعْتَزِلَةُ: حَيْثُ جَعَلُوا الْجَمِيعَ إِضَافَتَهُ إِلَى اللَّهِ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْخَلْقِ وَالْإِيجَادِ؛ لِيَصِلُوا إِلَى مُبْتَغَاهُمْ، وَهُوَ الْقَوْلُ بِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ.

وَأَمَّا غَلَاةُ الصُّوفِيَّةِ: فَجَعَلُوا الْجَمِيعَ إِضَافَتَهُ إِلَى اللَّهِ إِضَافَةً وَصْفٍ؛ لِيَصِلُوا إِلَى مُبْتَغَاهُمْ وَهُوَ الْقَوْلُ بِالْحُلُولِ، وَوَحْدَةِ الْوُجُودِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَصِفُونَ!!

الْحَقُّ وَسَطٌ بَيْنَ هَذَيْنِ، وَالْحَاصِلُ: أَنَّ إِضَافَةَ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ، عِنْدَمَا يُقَالُ: «كَلَامٌ مِّلِكِنَا»، فَهَذَا يَتَضَمَّنُ

الأصل في الصفات، هو أن ما يُضَافُ إِلَى اللَّهِ مِنَ الصِّفَاتِ يَثْبُتُ لِلَّهِ عَلَى وَجْهِ يَلِيقُ بِهِ، وَهَذَا تَضَمَّنَهُ قَوْلُهُ: «كَلَامٌ مَلِكِنَا»، أَي: هِيَ صِفَةٌ لِلَّهِ تَلِيقُ بِهِ، وَلَا تُشْبِهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ؛ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ الْكَمَالُ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلِذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ الْفَرْقَ بَيْنَ كَلَامِ اللَّهِ، وَكَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ فَهُوَ كَالْفَرْقِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ.

القاعدة عند أهل العلم: أن الإضافة تقتضي التخصيص.

فَعِنْدَمَا يُضَافُ الْكَلَامُ إِلَى اللَّهِ فَإِنَّهُ يَخْصُهُ، وَيَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ، وَعِنْدَمَا يُضَافُ الْكَلَامُ إِلَى الْمَخْلُوقِ فَهُوَ يَخْصُهُ، وَيَلِيقُ بِعَجْزِهِ وَنَقْصِهِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنَ اتِّفَاقِ الشَّيْئِينَ فِي الْإِسْمِ أَنْ يَتَّفَقَا فِي الْحَقِيقَةِ وَالْمُسَمَّى، هَذَا بَيْنَ الْمَخْلُوقِ وَالْمَخْلُوقِ، فَكَيْفَ بَيْنَ الْمَخْلُوقِ وَالْخَالِقِ؟!

وَلِذَلِكَ لَا تَجِدُ عُدْرًا لِلَّذِينَ ضَلُّوا فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ تَحَرَّوْا قَلِيلًا، وَأَعْمَلُوا عُقُولَهُمْ قَلِيلًا، وَسَأَلُوا اللَّهَ الْهِدَايَةَ لَهَدُوا إِلَى الْحَقِّ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الصِّفَةَ عَلَى قَدْرِ الْمَوْصُوفِ، وَهَذَا يُمَيِّزُهُ النَّاسُ حَتَّى بَيْنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَلَمْ يَجْعَلُوا أَبَدًا الْإِتِّفَاقَ فِي الْإِسْمِ مَدْعَاةً لِلِاتِّفَاقِ فِي الذَّاتِ وَالْحَقِيقَةِ، فَعِنْدَمَا يَقُولُ قَائِلٌ: يَدُ النَّمْلَةِ، وَيَقُولُ: يَدُ الْجَمَلِ، وَيَقُولُ: يَدُ الْفِيلِ، وَيَقُولُ: يَدُ الْإِنْسَانِ، فَالْيَدُ عَلَى حَسَبِ مَا أُضِيفَتْ إِلَيْهِ، فَلَيْسَتْ يَدُ النَّمْلَةِ كَيَدِ الْفِيلِ، وَلَا يَدُ الْإِنْسَانِ كَيَدِ الْجَمَلِ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ يَعْلَمُ ذَلِكَ بِالْغَرِيزَةِ

اللُّغَوِيَّةَ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ، وَجَعَلَهُ مَفْطُورًا عَلَيْهَا، حَتَّى الْأَطْفَالُ فَإِنَّهُمْ يُمَيِّزُونَ بَيْنَ يَدِ النَّمْلَةِ وَيَدِ الْفِيلِ.

أَمَّا هَؤُلَاءِ فَجَعَلُوا كُلَّ يَدٍ كَكُلِّ يَدٍ؛ لِذَلِكَ لَمَّا وَصَفَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَفْسَهُ بِأَنَّ لَهُ يَدَيْنِ قَالُوا: لَا، لَا تُثَبِّتْ لِلَّهِ مَا أَثَبَّتَهُ لِنَفْسِهِ، كَأَنَّهُمْ أَعْلَمُ بِاللَّهِ مِنَ اللَّهِ!!

وَلَمَّا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ رَبَّنَا يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ»، قَالُوا: لَا، لَا يَنْزِلُ، إِنَّمَا يَنْزِلُ الْمَخْلُوقُ، فَلَا تُثَبِّتْ لِلَّهِ مَا أَثَبَّتَهُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَأَنَّهُمْ أَعْلَمُ بِاللَّهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ!!

مَعَ أَنَّ النُّزُولَ هَاهُنَا مُسْتَنَدٌ إِلَى اللَّهِ، يَنْزِلُ رَبُّنَا وَرَبُّنَا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَنَزُولُهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ نَزُولٌ.

وَكَذَلِكَ الشَّأْنُ فِي كَلَامِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالُوا: لَا تُثَبِّتْ لِلَّهِ كَلَامًا، وَإِنَّمَا الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ خَلَقَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ!!

فَقَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَفِيهِ رَدٌّ وَإِبْطَالٌ لِمَنْ قَالَ: إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي أَوْجَدَهَا اللَّهُ بِقُدْرَتِهِ.

فَبَيْنَ النَّاطِمِ بَطْلَانِ هَذَا الْمُعْتَقَدِ بِقَوْلِهِ: «غَيْرُ مَخْلُوقٍ»، وَالْقَوْلُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ مُعْتَقَدُ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزَلَةِ وَغَيْرِهِمْ.

الْجَهْمِيَّةُ يُصَرِّحُونَ بِهَذَا، وَيَقُولُونَ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَالْكَلامُ مَخْلُوقٌ وَلَا

يَقُولُونَ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ؛ لِهَذَا حَاوَلَ شَيْخُهُمْ تَحْرِيفَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، مَاذَا يَصْنَعُ بِهِذِهِ الْآيَةِ؟

اللَّهُ تَعَالَى أَثَبَتْ فِيهَا أَنَّهُ كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَأَتَى بِالْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ، ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، فَمَاذَا قَالَ؟

ذَهَبَ إِلَى نَصْبِ لَفْظِ الْجَلَالَةِ؛ فِرَارًا مِنْ إِضَافَةِ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ: وَكَلَّمَ اللَّهُ!!
مُوسَى تَكْلِيمًا!!

وَأَمَّا الْمُعْتَزَلَةُ فَيُضِيفُونَ الْكَلَامَ إِلَى اللَّهِ، وَلَكِنَّهُمْ يَجْعَلُونَهُ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمَخْلُوقِ إِلَى الْخَالِقِ، وَالْأَشَاعِرَةُ وَالْكَلاَّبِيَّةُ يَقُولُونَ أَيْضًا بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، لَكِنْ لَا يُصَرِّحُونَ بِذَلِكَ، يَقُولُونَ الْكَلَامُ نَوْعَانِ: كَلَامٌ نَفْسِيٌّ لَيْسَ بِحَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ، وَهَذَا يُضِيفُونَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، الْكَلَامُ اللَّفْظِيُّ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى الْحَرْفِ وَالصَّوْتِ، وَالَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ، فَهُوَ مَخْلُوقٌ، وَهُوَ عِبَارَةٌ أَوْ حِكَايَةٌ عَنِ كَلَامِ اللَّهِ، وَلَيْسَ بِكَلَامِ اللَّهِ، بَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ مِنْ جُمْلَةِ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ. فَيَلْتَقُونَ مَعَ الْجَهْمِيَّةِ فِي هَذَا الْمُعْتَقَدِ.

وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَقَدْ دَانُوا - وَهُمْ الْأَتْقِيَاءُ حَقًّا وَصِدْقًا - دَانُوا بِهَذَا الْمُعْتَقَدِ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ مُنْزَلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ مُنْزَلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، هَذَا مُعْتَقَدُهُمُ الَّذِي لَا يَحِيدُونَ عَنْهُ، وَالنُّقُولُ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ، كَمَا مَرَّ فِي النُّقْلِ عَنِ اللَّالِكَايِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، سَمَى أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِئَةِ نَفْسٍ وَخَمْسِينَ نَفْسًا مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْأَئِمَّةِ،

بَعْضُهُمْ يَرَوِي عَنْهُمْ ذَلِكَ بِالْإِسْنَادِ، كُلُّهُمْ يُقَرِّرُ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ قَالَ إِنَّهُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ، وَالنُّقُولُ عَنْهُمْ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ جِدًّا.

«أَفْصَحُوا» بِذَلِكَ وَأَبَانُوهُ، وَقَرَّرُوهُ فِي الْمَجَالِسِ وَوَضَّحُوهُ، وَانْتَصَرُوا لَهُ لَا سِيَّمَا عِنْدَمَا يُعْلِنُ أَهْلُ الْبَاطِلِ بَاطِلَهُمْ، وَيُصَرِّحُونَ بِضَلَالِهِمْ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَحْمِلُوا النَّاسَ عَلَى ذَلِكَ حَمَلًا.

لِهَذَا يُنْقَلُ عَنْ أَبِي حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيِّ أَنَّهُ كَانَ كُلَّ جُمُعَةٍ يَقِفُ وَيَقُولُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، خِلَافًا لِقَوْلِ الْبَاقِلَانِيِّ، وَذَلِكَ حَتَّى لَا يَظُنَّ مَنْ يَأْتِي بَعْدَنَا أَنَّنَا عَلَى مُعْتَقَدِهِ. ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ فِي عَصْرِهِ، وَقَدْ نَقَلَ ذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي «شَرْحِ الْعَقِيدَةِ الْأَصْفَهَانِيَّةِ».

وَهَذَا الْإِفْصَاحُ قَدْ مَضَى عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ فِي تَأْلِيْفِهِمْ، فَمَا تَجِدُ كِتَابًا مُؤَلَّفًا فِي الْإِعْتِقَادِ إِلَّا وَفِيهِ التَّصْرِيحُ بِذَلِكَ وَالْإِفْصَاحُ بِهِ، بَلْ أَفْرَدُوا فِي ذَلِكَ كُتُبًا وَمُصَنَّفَاتٍ.

قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ - كَمَا مَرَّ ذِكْرُ ذَلِكَ - : هَذِهِ مَسْأَلَةٌ تَارِيخِيَّةٌ؛ يَعْنِي: وَقَعَ فِيهَا النِّزَاعُ وَالْخِلَافُ، وَدَارَ فِيهَا مَا دَارَ، ثُمَّ انْتَهَتْ!!

لَمْ تَنْتَهَ، وَشَيْءٌ آخَرُ: أَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ، وَمَا هُوَ مِنْهَا بِسَبَبٍ فِي أَهَمِّ وَأَعْظَمِ مَسَائِلِ الْوُجُودِ؛ لِأَنَّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِصِفَاتِ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، مَا الَّذِي يَعْلَمُهُ الْإِنْسَانُ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ أَسْمَاءَ اللَّهِ ﷻ وَصِفَاتِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى!؟

مَا الَّذِي يَعْلَمُهُ؟! وَمَا الَّذِي يَعْلَمُهُ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ جَاهِلًا بِأَسْمَائِهِ
تَعَالَى وَصِفَاتِهِ!؟

فَإِذَا كَانَ هُوَ لَاءِ يَنْفُونَ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى صِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ
تَعَالَى بِهَا نَفْسَهُ - كَمَا مَرَّ - تُقَامُ الْحُجَّةُ عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ بِأَنَّ إِلَهُهُمْ لَا تَتَكَلَّمُ، وَلَا
تَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا، وَهَذَا دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ.

فَيُقَالُ لَهُمْ: إِذَا كَانَ الَّذِي تَعْبُدُونَهُ كَالْعَجَلِ الَّذِي عَبَدْتَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ لَا يَرْجِعُ
إِلَيْكُمْ قَوْلًا فَكَيْفَ يَكُونُ إِلَهًا؟! لَا يُكَلِّمُكُمْ، وَلَا يَسْمَعُكُمْ، وَلَا يُبْصِرُكُمْ مَعَ ذَلِكَ
تَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

فَمَسْأَلَةٌ تَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا هِيَ أَعْظَمُ الْمَسَائِلِ قَطُّ، وَأَهَمُّ الْمَسَائِلِ
قَاطِبَةً، وَلَكِنَّ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ؛ لِذَلِكَ لَا تَجِدُ الْأُمَّةَ تَخْرُجُ مِنْ كِبَوَةٍ إِلَّا لِتَقَعَ فِي
كِبَوَةٍ، وَلَا تَجِدُ الْأُمَّةَ تَخْرُجُ مِنْ مَضِيقٍ إِلَّا لِتُحْشَرَ فِي مَضِيقٍ؛ لِأَنَّ هَذَا الْبَابَ هُوَ
أَعْظَمُ أَبْوَابِ الْإِعْتِقَادِ، لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ وَكَمَا مَرَّ
فِي تَصْرِيحِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ أَنَّهُ خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ
الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ، وَجَعَلَ الْأَمْرَ الْقَدْرِيِّ، وَالْأَمْرَ الشَّرْعِيَّ مُتَنَزِّلًا بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ، كُلُّ ذَلِكَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ، وَخَلَقَ الْأَرْضِينَ السَّبْعَ، وَتَنَزَّلُ الْأَمْرَ
الشَّرْعِيَّ، وَالْأَمْرَ الْقَدْرِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.. لِمَ؟!؟

لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا.

هَذَا الْخَلْقُ كُلُّهُ، وَهَذَا الْأَمْرُ مِنْ شَرْعٍ وَقَدَرٍ كُلُّهُ؛ لِتَعَلَّمُوا صِفَاتِ رَبِّكُمْ،
لِتَعَلَّمُوا صِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ وَالْجَلَالِ الَّتِي يَصِفُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهَا نَفْسَهُ
فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ.

فَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ مِنْ أَعْظَمِ الْمَسَائِلِ، وَالْقَوْلُ بِأَنَّهَا صَارَتْ مَسْأَلَةً تَارِيخِيَّةً، وَأَنَّهُ لَا
يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَشْغَلَ النَّاسَ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الَّتِي صَارَتْ أَثْرًا مِنْ بَعْدِ عَيْنٍ، هَذَا
كَلَامٌ لَا يَقُولُهُ إِلَّا جَاهِلٌ، أَوْ دَسِيسَةٌ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ الْمُعْتَقَدَ الْمُقَابِلَ
يُقَرَّرُ تَقَرُّرًا، وَيُسْقَاهُ النَّاسُ سَقِيًّا، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يَعْتَقِدُوهُ، وَإِذَا خَالَفُوا
رُمُوا بِأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ أَصْنَامًا، وَأَنَّهُمْ مُشَبَّهَةٌ وَمُجَسِّمَةٌ، مَعَ أَنَّ الَّذِي يُؤَوَّلُ الصِّفَاتِ
هُوَ الَّذِي يُشَبَّهُ، لَا يُوجَدُ مُعْطَلٌ أَوْ مُؤَوَّلٌ أَوْ مُنَزَّهٌ بِزَعْمِهِ إِلَّا وَهُوَ مُشَبَّهٌ أَوْلَا؛
يَعْنِي: عِنْدَمَا يَسْمَعُ صِفَةَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ، أَوْ فِي كَلَامِ رَسُولِهِ ﷺ لَا
يَأْخُذُهَا فِي إِطَارِ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
[الشورى: ١١]، لَا يَجْعَلُ الصِّفَةَ عَلَى قَدْرِ الْمُؤَصُوفِ، وَلَا يَجْعَلُ الصِّفَاتِ عَلَى
قَدْرِ الذَّوَاتِ، وَلَا يَجْعَلُ الْمُسْنَدَ إِلَى مَا أُسْنَدَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا يَأْتِي إِلَى ذَهْنِهِ تَشْبِيهٌ،
فَيُرِيدُ أَنْ يَفْرَ مِنْ التَّشْبِيهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ وَقَعَ فِي التَّعْطِيلِ وَالتَّأْوِيلِ.

إِذْنًا: كُلُّ مُؤَوَّلٍ مُشَبَّهٌ.

وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَلَا مُؤَوَّلَةَ وَلَا مُشَبَّهَةَ، وَإِنَّمَا يُشْبِتُونَ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ فِي
كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ وَلَا تَمَثِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا
تَأْوِيلٍ وَلَا تَعْطِيلٍ؛ لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لَجْهَمٍ وَأَسْبَحُوا

جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ: تُنْسَبُ إِلَيْهِ فِرْقَةُ الْجَهْمِيَّةِ، وَكَانَ يَقُولُ الْقُرْآنَ مَخْلُوقًا، وَاسْتَدَلَّ عَلَى مَقَالَتِهِ بِشُبُهَاتٍ عَقْلِيَّةٍ، مُتَشَابِهَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَسَلَطَ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِ الْأَمِيرَ سَلْمَانَ بْنَ أَحْوَزَ؛ فَقَتَلَهُ بِمَرَوْ فِي خِلَافَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَكُلُّ مَنْ تَابَعَهُ أَوْ قَالَ بِمَقَالَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَتَلَمَّذْ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُعَاصِرْهُ نُسِبَ إِلَيْهِ؛ فَالْعُلَمَاءُ يَقُولُونَ عَلَى جُمُوعِ الْمُعْطَلَةِ الَّذِينَ عَطَّلُوا وَنَفَوْا صِفَاتِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُونَ عَنْهُمْ: جَهْمِيَّةٌ؛ لِأَنَّ الْجَهْمَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ مَقَالََةَ التَّعْطِيلِ، وَأَصَلَ لَهَا.

سَبَقَ الْجَهْمَ فِي الذَّهَابِ إِلَى تَعْطِيلِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا عَنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ شَيْخُهُ الْجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ، لِكِنَّةِ لَمْ يَكُنْ مُؤَصِّلًا لِتِلْكَ الْبُدْعَةِ، وَلَا مُنْظِرًا لَهَا، فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ عُرِفَ عَنْهُ التَّنْظِيرُ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ، وَقَدْ ذَكَرَ إِحْدَاهَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيِّ.

فَبَعْدَ أَنْ حَذَرَ الْإِمَامُ النَّازِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ الْكُفَّارِ: الْقُرْآنَ مَخْلُوقًا، وَدَعَانَا إِلَى الْإِعْتِقَادِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ، بَلْ هُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا، وَهُوَ كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ، وَمِنْ عِلْمِهِ حَذَرْنَا أَيْضًا هَؤُلَاءِ الْوَاقِفَةَ الَّذِينَ اسْتَتَرُوا بِالْوَقْفِ؛ لِيَمُوهُوا عَلَى النَّاسِ دِينَهُمْ، وَيُنْفِذُوا فِيهِمْ مُعْتَقَدَهُمْ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَقَدْ جَهَّمَهُمُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَالَ فِيهِمْ: هُمْ شَرُّ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ، اسْتَتَرُوا بِالْوَقْفِ.

وَالسَّبَبُ فِي تَجْهِيمِ الْوَاقِفَةِ - أَي: فِي وَصْفِهِمْ بِأَنَّهُمْ جَهْمِيَّةٌ -: أَنَّهُمْ لَمَّا شَكُّوا فِي الْقُرْآنِ: أَهْوَوْ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى أَمْ مَخْلُوقٌ؟ تَوَقَّفُوا، وَالشَّكُّ فِي اللَّهِ كُفْرٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

يَسْأَلُ سَائِلٌ: نَحْنُ الْيَوْمَ نَقُولُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، وَنَقِفُ، هَلْ نَحْنُ بِهَذَا الْقَوْلِ جَهْمِيَّةٌ؟

وَالجَوَابُ: لَا، وَبِزَيْدِكَ بَيَانًا وَوَضُوحًا مَا ذَكَرَهُ حَنْبَلٌ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ؛ حَيْثُ قَالَ: «كُنَّا نَوْمُرُ بِالسُّكُوتِ، وَنَتْرُكُ الْخَوْضَ فِي الْكَلَامِ وَفِي الْقُرْآنِ، فَلَمَّا دُعِينَا إِلَى أَمْرٍ مَا كَانَ بَدَأَ لَنَا مِنْ أَنْ نَدْفَعَ ذَلِكَ، وَنُبَيِّنَ فِي أَمْرِهِ مَا يَنْبَغِي.

قُلْتُ: فَمَنْ وَقَفَ، فَقَالَ: لَا أَقُولُ مَخْلُوقٌ وَلَا غَيْرَ مَخْلُوقٍ؟

فَقَالَ: كَلَامٌ سُوءٌ، وَذَا مَوْضِعُ السُّوءِ، وَتَوَقُّفُهُ كَيْفَ لَا يَعْلَمُ إِمَّا حَلَالًا وَإِمَّا حَرَامًا، إِمَّا هَكَذَا وَإِمَّا هَكَذَا، قَدْ نَزَّ اللَّهُ ﷻ الْقُرْآنَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقًا، وَإِنَّمَا يَرْجِعُ هُوَ لَا إِلَى أَنَّهُ مَخْلُوقٌ، فَاسْتَحْسِنُوا لِأَنْفُسِهِمْ فَأَظْهَرُوا الْوَقْفَ».

هَذَا كَانَ فِي زَمَانِ الْفِتْنَةِ، أَمَّا فِي زَمَانِنَا، وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ ﷻ بِنَشْرِ السُّنَّةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَانْدِحَارِ مِثْلِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ بَيْنَ عَوَامِّ الْمُسْلِمِينَ، فَلَيْسَ هُنَاكَ دَاعٍ إِلَى أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرَ مَخْلُوقٍ إِلَّا إِذَا كَانَ مِنْ بَابِ التَّعْلِيمِ.

وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنَ خَلَقَ قَرَأْتُهُ فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

يَعُودُ الْإِمَامُ رَحِمَهُ اللهُ مُجَدِّدًا فِي النَّصْحِ مِنْبَهَا وَمُحَدِّرًا كَلَامَ الْجَهْمِيَّةِ، وَاتَّبَاعِ
 أَسَالِيْبِهِمُ الْمُتَلَوِيَّةِ، فَلَمَّا كَانُوا فِي بَادِيِ الْأَمْرِ يُصْرِّحُونَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَأَنَّهُ
 مُضَافٌ إِلَى اللَّهِ كِإِضَافَةِ النَّاقَةِ إِلَيْهِ، فَلَا فَرْقَ عِنْدَهُمْ بَيْنَ بَيْتِ اللَّهِ، وَكَلَامِ اللَّهِ فَكُلُّ
 مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمَخْلُوقِ لِلْخَالِقِ.

وَقَدْ مَرَّتْ قَاعِدَةُ الْإِضَافَةِ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، إِذَا أُضِيفَ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا
 لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ، فَهَذَا مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ، كَمَا تَقُولُ: كَلَامُ اللَّهِ،
 وَإِرَادَةُ اللَّهِ، وَقُدْرَةُ اللَّهِ، وَسَمْعُ اللَّهِ، وَبَصَرُ اللَّهِ، وَإِذَا أُضِيفَ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا
 يَقُومُ بِذَاتِهِ فَهَذَا مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمَخْلُوقِ إِلَى الْخَالِقِ عَبْدُ اللَّهِ، بَيْتُ اللَّهِ، نَاقَةُ اللَّهِ.

لَمَّا أَنْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ السُّنَّةِ، وَبَدَأَتْ شَمْسُ الْبِدْعَةِ فِي الْغُرُوبِ تَذَرَعُوا
 بِالْقَوْلِ بِالْوَقْفِ، فَتَقَيَّضَ اللَّهُ لَهُمْ أَيْضًا مَنْ يَرُدُّ كَيْدَهُمْ فَكَادُوا مَكِيدَةً أُخْرَى، وَهِيَ
 الْقَوْلُ بِاللَّفْظِ، فَعِنْدَنَا الْآنَ: قَوْلُهُمْ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَبِالْوَقْفِ فِي الْقُرْآنِ، وَبِالْقَوْلِ
 بِاللَّفْظِ فِي الْقُرْآنِ، هَذِهِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ، وَهِيَ مِنَ الْبِدْعِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ.

الْعُلَمَاءُ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالْمَلْفُوظِ، وَالْقِرَاءَةِ وَالْمَقْرُوءِ، وَالتَّلَاوَةِ وَالْمَتَلَوِّ،
 وَالْكِتَابَةِ وَالْمَكْتُوبِ، وَالْحِفْظِ وَالْمَحْفُوظِ.

فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ فِعْلُ الْعَبْدِ مَخْلُوقٌ، وَالْمَلْفُوظُ كَلَامُ اللَّهِ؛ وَالتَّلَاوَةُ الَّتِي هِيَ
 فِعْلُ الْعَبْدِ مَخْلُوقَةٌ، وَالْمَتَلَوُّ كَلَامُ اللَّهِ؛ الْقِرَاءَةُ الَّتِي هِيَ فِعْلُ الْعَبْدِ مَخْلُوقَةٌ، الْمَقْرُوءُ
 كَلَامُ اللَّهِ؛ الْكِتَابَةُ الَّتِي هِيَ حَرَكَةُ الْيَدِ مَخْلُوقَةٌ، الْجِبْرُ وَاللَّوْحُ وَالْوَرَقُ مَخْلُوقٌ،
 الْمَكْتُوبُ كَلَامُ اللَّهِ؛ الْحِفْظُ الَّذِي هُوَ فِعْلُ الْعَبْدِ مَخْلُوقٌ، الْمَحْفُوظُ كَلَامُ اللَّهِ.

ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ مَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، وَمَنْ قَالَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ؛ لِأَنَّ الْعِبَارَةَ مُجْمَلَةٌ فَلَا بُدَّ مِنَ التَّفْصِيلِ فِيهَا، وَإِنَّمَا وَقَعَ الْإِشْكَالُ مِنَ الْمَصْدَرِ (الْلَفْظُ)، وَهُوَ مِنْ: لَفَظٌ يَلْفِظُ لَفْظًا.

وَالْلَفْظُ: اسْمٌ مَصْدَرٍ يُرَادُ بِهِ الْفِعْلُ أَوْ الْمَفْعُولُ، أَيْ لَفَظُ الْقَارِي أَوْ الْمَلْفُوظُ بِهِ، فَلَوْ قُلْتَ لِأَحَدٍ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: هَذِهِ لَفْظَةٌ خَطَأً، وَاللَّفْظَةُ الصَّحِيحَةُ كَذَا، فَأَنْتَ تُرِيدُ بِقَوْلِكَ (لَفْظَةً) الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ.

كَذَلِكَ لَوْ قُلْتَ لَهُ: أَنْتَ لَفْظُكَ خَطَأً، إِنَّمَا مَخْرَجُ التَّاءِ غَيْرُ مَخْرَجِ الضَّادِ، فَأَنْتَ تُرِيدُ لَفْظَهُ الَّذِي هُوَ فِعْلُهُ بِلِسَانِهِ مَعَ أَسْنَانِهِ.

مِنْهُ اسْمُ الْمَصْدَرِ (الْقُرْآنُ) مِنْ: قَرَأَ يَقْرَأُ قُرْآنًا، اسْمُ الْمَصْدَرِ مِنْ قُرْآنٍ: الْقُرْآنُ، فَالْقُرْآنُ قَدْ يُرَادُ بِهِ الْمَفْعُولُ الْمَقْرُوءُ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

وَقَدْ يُرَادُ بِهِ فِعْلُ الْعَبْدِ نَفْسِهِ الَّذِي هُوَ الْقِرَاءَةُ: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

فَمَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، وَأَرَادَ بِهِ فِعْلَهُ فَهَذَا صَحِيحٌ.
وَمَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، وَأَرَادَ بِهِ الْمَلْفُوظَ الْمَتَلُوَّ الْمَنْطُوقَ فَهُوَ جَهْمِيٌّ.

هَذِهِ الْأُمُورُ مِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ..

وَتُعَلِّمُ هَكَذَا عَلَى سَبِيلِ الْأَجْمَالِ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ التَّفْصِيلِ مَا وَرَاءَهُ؛ لِأَنَّ
 الْمَعَارِكَ الَّتِي دَارَتْ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْمُبْتَدِعَةِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزَلَةِ
 وَغَيْرِهِمْ، هَذِهِ الْمَعَارِكُ خَلَفَتْ كَثِيرًا مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ، وَفِيهَا حَرَكَةُ الْعَقْلِ السُّنِّيِّ
 السَّلَفِيِّ الْعَرَبِيِّ، يَعْنِي الَّذِي صُبِغَ بِحَقِيقَةِ هَذِهِ اللُّغَةِ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ إِذَا مَا
 نَظَرْتَ فِي شُبُهَاتِهِمْ وَجَدْتَ أَنَّهُمْ أُتُوا مِنْ قِبَلِ جَهْلِهِمْ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، فَيَجْعَلُونَ
 الْجَعْلَ -مَثَلًا- خَلْقًا، قَوْلًا وَاحِدًا بِلا مَثْنَوِيَّةٍ، وَيُنَاطِرُونَ عَلَى ذَلِكَ!!

كَمَا فِي الْمُنَاطَرَاتِ الَّتِي دَارَتْ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْمُبْتَدِعَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِخَلْقِ
 الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ الرَّبِّ الْحَمِيدِ مِنَ الرُّؤْيَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ
 الْمَجِيءِ وَالْإِتْيَانِ، فَإِذَا مَا رَجَعْتَ إِلَى أَصْلِ الْفَسَادِ عِنْدَهُمْ وَجَدْتَ أَنَّ هَؤُلَاءِ
 كَانُوا مِنْ غَيْرِ الْعَرَبِ الَّذِينَ لَمْ يَتَرَبَّوْا عَلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الْمُبِينِ، وَإِنَّمَا تَعَلَّمُوا
 أُمُورًا، وَلَمْ يُرْزَقُوا ذَائِقَةَ اللُّغَةِ، فَأَعْمَلُوا عَقُولَهُمْ عَلَى حَسَبِ مَعْلُومِهِمُ الْعَرَبِيِّ،
 وَكَانَ قَاصِرًا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْكَبِيرَةِ، وَدَخَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِبِلَاءٍ عَظِيمٍ
 مَا زَالَ أَثَرُهُ قَائِمًا إِلَى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا.

هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ وَهِيَ مَا يَتَعَلَّقُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَالْوَقْفِ فِيهِ، وَالْقَوْلِ بِمَذْهَبِ
 اللَّفْظِيَّةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْبِدْعِ، هَذِهِ كُلُّهَا كَانَتْ مِنْ وَرَائِهَا مَأْسٍ عَظِيمَةٌ فِي فِتْرَةٍ
 مِنَ الْفِتْرَاتِ.

الْمَأْمُونُ لَمَّا قَامَ بِتَرْجَمَةِ كُتُبِ الْفَلَسَفَةِ وَالْمَنْطِقِ أَدْخَلَ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ
 شَرًّا عَظِيمًا، وَكَانَ الْمَأْمُونُ مُعْتَزَلِيًّا، وَأَمَرَ بِأَنْ يُسَيَّرَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ

نُوحٍ، وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَفِي الْخِطَابِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ إِلَيَّ وَآلِيهِ؛ مِنْ أَجْلِ اسْتِقْدَامِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ إِلَيْهِ حَيْثُ مَقَرُّهُ يَقُولُ: «وَأَرْسِلْ إِلَيَّ بِذَلِكَ الْجَاهِلِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ»، دَعَا الْإِمَامَ أَحْمَدَ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ لَا يَرَى الْمَأْمُونَ، وَأَنْ لَا يَرَاهُ الْمَأْمُونَ، فَهَلَكَ الْمَأْمُونَ وَالْإِمَامُ فِي الطَّرِيقِ، فَأُطْلَقَهُ الْوَالِي فَرَجَعَ.

جَاءَ الْمُعْتَصِمُ فَوَجَدَ الْإِمَامَ أَحْمَدَ فِي يَدٍ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، وَكَانَ عِنْدَ الْمُعْتَصِمِ، وَكَانَ أُمِّيًّا لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ، وَلَا مُشَارَكَةً لَهُ فِي الْعِلْمِ، وَكَانَ لَا يَدْرِي حَقِيقَةَ الْمَسْأَلَةِ، وَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ كَأَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ وَبَشْرٍ وَغَيْرِ هَؤُلَاءِ، كَانَ عِنْدَهُ مَنْ يُؤْزِرُهُ عَلَى الْبَاطِلِ أَزًّا، جِيءَ بِالْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَقِيلَ لَهُ - وَكَانَ صَائِمًا فِي رَمَضَانَ، وَأُوقِفَ فِي الشَّمْسِ، وَجُعِلَتْ يَدَاهُ فِي الْعُقَابَيْنِ وَشُدَّتَا - ثُمَّ قِيلَ لَهُ - وَالْمُعْتَصِمُ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ - : قُلْ أَدْنَى قَوْلٍ أَجِدُ لَكَ فِيهِ فَرَجًا حَتَّى أُحِلَّ قَيْدَكَ بِيَدِي، وَأَطَا عَقَبَكَ؛ يَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اتُّوْنِي بِشَيْءٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، أَوْ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

كَانَتْ الْمَسْأَلَةُ تَدُورُ عَلَى مِحْوَرٍ عَظِيمٍ، وَهُوَ تَبْدِيلُ عَقِيدَةِ الْمُسْلِمِينَ إِنْ خَنَعَ فَسُتَبَدَّلَ، وَسَتَقَعُ أُمُورٌ عَظِيمَةٌ؛ لِذَلِكَ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ كَأَبِي زُرْعَةَ، يَقُولُ لَهُ: لَقَدْ أَجَابَ فِي الْمِحْنَةِ فَلَانٌ وَفُلَانٌ، فَعَلَّامٌ تَقْتُلُ نَفْسَكَ!!

فَقَالَ لَهُ: اخْرُجْ فَاظْطُرْ؛ فَخَرَجَ لِيَنْظُرَ، فَوَجَدَ طُلَّابَ الْعِلْمِ، وَأَهْلَ الْحَدِيثِ، وَأَهْلَ الْعِلْمِ يَنْتَظِرُونَ مَا يَقُولُهُ أَحْمَدُ مَعَهُمُ التُّرُوسُ وَالْقِرَاطِيسُ وَالْأَقْلَامُ وَالْمَحَابِرُ، يَنْتَظِرُونَ كَلَامَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ يَقُولُونَ: مَاذَا قَالَ أَحْمَدُ؟ يَعْنِي: هَلْ أَجَابَ فِي الْفِتْنَةِ أَوْ

فِي الْمِحْنَةِ، وَقَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَرَى فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّهُ لَا يَتَّصِفُ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، هَلْ أَجَابَ الْإِمَامُ؟ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكْتُبُوا.
فَدَخَلَ فَأَخْبَرَهُ؛ فَقَالَ: وَجَدْتُ النَّاسَ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ.

قَالَ: أَقْتُلْ نَفْسِي وَلَا أَضِلُّ هَوْلَاءِ!

فَكَانَتْ مَسْأَلَةً عَظِيمَةً، ضَرَبَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ضَرْبًا، يَقُولُ الطَّيِّبُ الَّذِي كَانَ
يُعَالِجُهُ، وَكَانَ يَأْتِي بِالْمَسْبَارِ الْجِرَاحِيِّ فَيَضَعُهُ فِي الْجُرْحِ وَيَكُونُ عَمِيقًا، وَاللَّحْمُ
قَدْ مَاتَ فَمَا يَزَالُ يَدُورُ بِمَسْبَارِهِ؛ لِيَجْعَلَ عَلَيْهِ اللَّحْمَ الْمَيِّتَ لِيَقْطَعَهُ بِمِبْضَعِهِ،
وَيَقُولُ: لَقَدْ رَأَيْتُ مَنْ ضَرَبَ أَلْفَ سَوْطٍ فَلَمْ أَرِ أَحَدًا ضَرِبَ مِثْلَ هَذَا الضَّرْبِ،
لِمَاذَا يَفْعَلُ فِي نَفْسِهِ هَذَا؟

إِذَا كُنْتُمْ تَسْتَهِينُونَ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ رَبِّنَا جَلَّ وَعَلَا فَلِمَاذَا صَنَعَ فِي نَفْسِهِ هَذَا

رَحِمَهُ اللَّهُ!!؟

ضَرِبَ حَتَّى غَابَ عَنِ الْوَعْيِ، طُرِحَتْ عَلَيْهِ بَارِيَّةٌ - يَعْنِي: قِطْعَةٌ مِمَّا يُفْرَسُ
عَلَى الْأَرْضِ مِنَ السَّجَادِ أَوْ غَيْرِهِ - وَدَاسَهُ الْجُنُودُ ذَهَابًا وَإِيَابًا بِالْخُطْوَةِ الْمُعْتَادَةِ،
يَذْهَبُونَ وَيَرْوِحُونَ وَيَجِيئُونَ عَلَى جَسَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَقَدْ أَعْشِيَ عَلَيْهِ رَحِمَهُ اللَّهُ،
وَلَمْ يُفْطِرْ، كَانَ صَائِمًا وَلَمْ يُفْطِرْ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى أَنْ يَقُولَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اتُّونِي
شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ؛ لِكَيْ أَقُولَ بِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَتَبَّتْ الْإِمَامُ فِي الْمِحْنَةِ ثَبَاتًا عَظِيمًا، وَلَمْ يَكُنْ وَحْدَهُ؛ الْبُؤَيْطِيُّ صَاحِبُ
الشَّافِعِيِّ حُمِلَ فِي قَيْودِهِ وَأَغْلَالِهِ، ثُمَّ جُعِلَ فِي سِجْنِهِ، فَكَانَ إِذَا مَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ

أَخَذَ يَحْجُلُ فِي قِيُودِهِ وَأَغْلَالِهِ وَحَدِيدِهِ حَتَّى يَذْهَبَ إِلَى بَابِ السَّجْنِ يَقُولُ: يَا رَبِّ
اشْهَدْ عَلَيَّ أَنِّي أُرِيدُ أَنْ أُصَلِّيَ فِي الْجَمَاعَةِ. حَتَّى مَاتَ فِي أَغْلَالِهِ وَقِيُودِهِ رَضِيَ اللهُ.

أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ الْخَزَاعِيِّ قَتَلَهُ الْوَائِقُ بِيَدِهِ، وَقَالَ: هَذَا الضَّالُّ الَّذِي عَلَى
عَقِيدَةٍ لَا نَعْلَمُهَا، وَالَّذِي يَدَّعِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرَى فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ
كَلَامُهُ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مُعْتَقِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، الْوَائِقُ عَلَى ضِدِّهِ،
وَيَقْرُرُ عَكْسَهُ، وَيَأْمُرُ بِحَمْلِ رَأْسِ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ الْخَزَاعِيِّ؛ لِكَيْ تُعَلَّقَ عَلَى ضَفَّةِ
دِجَلَةَ، وَأَمَّا جَسَدُهُ فَعَلَى الضَّفَّةِ الْأُخْرَى، وَبَقِيَ الرَّأْسُ فِي مَوْضِعِهِ، وَالْجَسَدُ فِي
مَوْضِعِهِ مُعَلَّقِينَ إِلَى أَنْ جَاءَ الْمُتَوَكِّلُ نَاصِرُ السُّنَّةِ فَرَفَعَ الْمِحْنَةَ، وَأَمَرَ بِأَنْ يُصَمَّ
الرَّأْسُ إِلَى الْجَسَدِ، ثُمَّ دُفِنَ جَسَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ الْخَزَاعِيِّ رَضِيَ اللهُ، وَكَانَ
مِنْ طَبَقَةِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ.

فَهَؤُلَاءِ الْأَيُّمَةُ لِمَ صَنَعُوا بِأَنْفُسِهِمْ هَذَا إِذَا كَانَتْ مَسْأَلَةٌ لَا قِيَمَةَ لَهَا؟!!

هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِصِفَاتِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا، فَتَعَلَّمُوا صِفَاتِ رَبِّكُمْ، فَإِنَّهُ لَا نَجَاةَ إِلَّا
بِمَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَنْ يَقْدَرَ اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِلَّا إِذَا عَرَفَهُ، وَلَنْ
يَعْرِفَهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ إِلَّا بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْمُثَلَى.

فَنَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُعَلِّمَنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا، وَأَنْ يَزِيدَنَا

عِلْمًا.